النص من البنية الى الوظيفة

د. حامد مردان السامر

النص من البنية الى الوظيفة

يشكل النص مدخلا مهما من مداخل فضاء الحداثة التي أنتجها الفكر الغربي عبر سيرورة التحول الثقافي التي قطعها في مشواره الطويل ، وقد تباينت الطروحات النقدية واللسانية تباينا واسعا حول تحديد مفهومه وتشكيل أنساقه ، وآليات اشتغاله ، وقدرته على انتاج أنساق معرفية وحداثية وثقافية مغايرة ، فالنص لم يعد وسيلة وأداة لنقل المعرفة ، بل أصبح حقلا معرفيا مستقلا وفضاء لانتاج المعرفة بعد انهيار الدليل وانفصال الدال عن المدلول في الحقل اللساني الغربي ، وأثمر هذا الانهيار عن ولادة المنظومة النصية الحداثية المتمثلة بنظرية النص وأبعادها المعرفية التي حولت النص الى ميدان معرفي مستقل وانتقل من أداة لتوصيل المعرفة الى مصدر لانتاجها .

ولعل من أبرز ركائز نظرية النص هي خصائص تشكيل النص أو مايطلق عليه بعض النقاد بالنصية ، وهي الخصائص التي يشترط توفرها في النص ليكون نصا ، وإذا افتقد هذه الخصائص فانه يفتقد شرط نصيته .

ويطرح البحث اشكالية الربط بين بنية النص ووظيفته ، فهل هناك علاقة جدلية تحاول الدراسات اللسانية والنقدية إثارتها بين بنية النص ووظيفته ؟ . وهل هناك غاية معرفية تؤدي الى انتاج النصوص وتأويلها ؟ أم ان عقد الشراكة المعرفية بين اللغة والقاريء قد انفرط عقده ؟ .هذه الأسئلة وغيرها يحاول البحث اثارتها ومناقشتها والتعرض لأبرز مرتكزاتها الثقافية والمعرفية والتوغل في أعماق مرجعياتها الايديولوجية التي أنتجتها وحاولت تسويقها والغاية من ورائها .

والاتجاه اللساني انفتح على فضاء معرفي واسع تجاوز المقاربة اللغوية المغلقة ، مما أسهم اسهاما واسعا في تحديث المقاربات اللسانية ، فقد تسللت حقول معرفية كثيرة الى ميدان الدراسات اللسانية مثل علم النفس ، وعلم الاجتماع ، ونظرية المعرفة ، والذكاء الاصطناعي والحاسب الآلي ، وبذلك نقلت هذه العلوم النص الى ميدان التجريب والممارسة والانفتاح على فضاءات حداثية مذهلة شكلت الأسس المعرفية لنظرية النص .

ومن خلال البحث عن بنية النص أو الخصائص التي تجعل الملفوظ نصا ، يكتشف الباحث التداخل المعرفي الهائل عندما غادر النص الإطار اللساني الضيق ، وانفتح على فضاء المعرفة الواسع ، ونجد ذلك جليا في طروحات اللساني تون فان دايك والناقدة جوليا كرستيفا على وجه الخصوص ، فنجد في طروحاتهما انفتاح النص على فضاءات معرفية واسعة أسهمت في جعل النص بنية متحولة ومسافرة الى أماكن وحقول لم تكن تألفها سابقا ، وأثمر ذلك الانفتاح عن ازدياد مساحة الإشكال في معاينة النص لذلك نجد التداخل المعرفي الحاصل بين مفهوم النص وخصائص النص وآليات ادراك النص وتأويله في الكثير من الدراسات التي تناولت النص سواء في الحقل الثقافي الغربي ام في الحقل الثقافي العربي ، فنجد الخلط بين النص والخطاب ، والخلط بين النص والعمل ، والتداخل بين النص والكتابة ، غيرها .

ومن جانب آخر أنتجت المقاربات المتعددة للنص وتداخلها أحيانا أفقا حواريا مفتوحا يأبى الانغلاق والتخندق والتمترس المنهجي ، والوقوف عند عتبة معرفية ضيقة ، ليلج الى ثقافة حداثية يطلق عليها البعض حداثة النص ، وهي حداثة يغلب عليها الانفتاح ، والتجريب ، والامكان ، والممارسة ، لتكون بديلا عن مرحلة الانغلاق ، والجزم ، والمتوضع ، والتخندق المنهجي الذي كان غالبا على الطروحات السابقة للنص. .

مصادر البحث :

اسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة ، نقله الى العربية : د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 2008.

أسس لسانيات النص ، مارغوت هاينمان ، فولفغنغ ، ترجمه عن الالمانية : د. موفق جواد مصلح ، دار المأمون للترجمة ، بغداد ، الطبعة الاولى ، 2009.

إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، جمعان عبد الكريم ، النادي الادبي في الرياض ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 2009.

بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، (164) ، الكويت ، 1992.

التحليل اللغوي للنص ، كلاوس برينكر ، ترجمة : د.سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 2005.

التحليل النصي ، رولان بارت ، ترجمة : عبد الكبير الشرقاوي ، دار التكوين ، دمشق، منشورات الزمن ،الرباط ، 2009.

التفاعل النصي ، نهلة فيصل الاحمد ، كتاب الرياض ، (104) ، الرياض ، 2002.

دينامية النص ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1990.

علم النص ، مدخل متعدد الاختصاصات ، تون فان دايك ، ترجمة : د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب ، الطبعة الاولى ، 2001.

نسيج النص : بحث في مايكون به الملفوظ نصا ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 1993.